

حجّ أهل الشريعة والطريقة والحقيقة*

السيد حيدر الأملي

تحقيق: السيد أبو الحسن المطليبي

المؤلف في سطور

السيد حيدر بن علي بن حيدر بن علي العلوي الحسيني الأملي المازندراني، كما ذكره القاضي نور الله في مصائب النواصب، في مدحه من أصحابنا الإمامية المتألهين، وأنه السيد العارف المحقق الأوحدي، وأنه من علماء الشيعة، والمعاصر للشيخ فخر المحققين ولد العلامة الحلّي، والحسين بن حمزة الهاشمي، ويروي عنهما قدس سرهما^(١).

كانت ولادة السيد المؤلف في بلدة أمل، حوالي سنة ٧١٩ أو سنة

(*) الجدير بالذكر أننا أخذنا هذا العنوان وما يبحث تحته من أحد الآثار العرفانية القيمة، الموسوم بـ«أسرار الشريعة وأطوار الطريقة وأنوار الحقيقة» (ص ٢٢١-٢٤٤) للعارف المتأله السيد حيدر الأملي، والذي صحّحه محمد خواجوي، ونشرته مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنگي، في طهران، دون تاريخ. استند المؤلف في هذه الكلمات الثلاث: «الشريعة» و«الطريقة» و«الحقيقة» لتسمية كتابه من قول رسول الله ﷺ: «الشريعة أقوال، والطريقة أفعال، والحقيقة أحوال»، وقوله تعالى: «لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا» (النساء: ٥٢)، وقوله تعالى: «وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً» (الواقعة: ٧). (ورد الحديث في كتاب «الإنسان الكامل» لعزير الدين النسفي: ٣).

(١) راجع: رياض العلماء ٢: ٢١٨.

٧٢٠ للهجرة، والحقبة الممتدة من هذا التاريخ حتى سنة ٧٥١، أي ما يزيد قليلاً على ثلاثين عاماً، يمكن تسميتها بالدور الفارسي الأول لنشأته الزمنية، خلال هذه الفترة المحددة أتمّ تكوينه الفكري وثقافته الإسلامية في المراكز العلمية الفارسية، ولاسيما بإصبهان، إحدى عواصم الفكر الإسلامي الخالد، على مرّ الأجيال.

وفي هذه الفترة أيضاً - وبتعبير أكثر دقة في مستهل شبابه المتفتح - مارس بعض الوظائف الاجتماعية المرموقة، وهي - على حدّ قوله - تصدر الرياسة والوزارة، ومن المحتمل أن يكون هذا في حدود ٧٤٠ - ٧٥١ للهجرة.

وأما بعد هذا العام (٧٥١) فقد ترك السيد المؤلّف الوزارة والرياسة و... كما يحدّثنا عن نفسه بنفسه:

«إن الله تعالى لمّا أمرني بترك ما سواه، والتوجه إليه حقّ التوجه، ألهمني بطلب (كذا) مقام و منزل أسكن فيه، وأتوجه إلى عبادته و طاعته، بموجب أمره وإشارته (مكان) لا يكون أعلى منه، ولأشرف في هذا العالم.

فتوجّهت إلى مكة شرفها الله تعالى - بعد ترك الوزارة والرياسة و المال والجاه والوالد والوالدة، وجميع الأقارب والإخوان والأصحاب - وخرجت من بلدي الذي هو الأمل والطبرستان من طرف خراسان.

وكنت وزيراً للملك الذي (هو) بهذا البلد، وكان من أعظم ملوك الفرس؛ لأنّه كان من أعظم أولاد كسرى، وكان اسمه الملك السعيد فخر الدولة بن الملك المرحوم شاه كتنخدا - (طيب) الله تراهما و جعل الجنة مثواهما - وكان عمري في هذه الحالة ثلاثين سنة.

وقد جرى عليّ إلى حين الوصول إلى مكة، في هذه الصورة أنواع

من البليّات، وأصناف من المجاهدات، لا يمكن شرحها إلا بمجلّدات. ومع ذلك كان (في) أكثر الحالات جارياً على لساني قول الله جلّ ذكره: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١)، وقول العارف المشتاق مثلي وهو قوله:

تركت الخلق طراً في رضاكا وأيتمت العيال لكي أراكا
فلو قطعني إرباً فأرباً لما حنّ الفؤاد إلى سواكا

وعلى الجملة (مازال هكذا شأني)، حتى وصلت إلى مكة وحججت وجوباً، وقمت بالفرائض والنوافل، من المناسك وغيرها، سنة إحدى وخمسين و سبع مائة من الهجرة. وأردت المجاورة بها، فحصل لي شوق إلى المجاورة بالمدينة؛ فإني ما كنت زرت رسول الله ﷺ ولا أولاده وأصحابه.

فتوجهتُ إلى المدينة وزرت رسول الله ﷺ وعزمت على المجاورة، فحصل لي أيضاً مانع من الموانع، أعظمها المرض السوري، بحيث وجب الرجوع إلى العراق، والمكان المألوف الذي هو المشهد الغروي المقدس سلام الله على مشرفه.

فرجعت بالسلامة إليه، وسكنت فيه، مشتغلاً بالرياضة والخلوة والطاعة والعبادة، التي لا يمكن (أن يكون) أبلغ منها، ولا أعظم؛ ففاض على قلبي من الله تعالى، و(من) حضراته الغيبية، في هذه المدّة...»^(٢).

(١) النساء: ١٠٠.

(٢) جامع الأسرار ومنبع الأبرار، الشيخ حيدر الأملي. الطبعة الثانية، طهران، شركة انتشارات علمي وفرهنكي وانجمن ايران شناسي فرانسه، ١٣٦٨ شمسي، ص ١٠-١٢.

مؤلفاته

- ١- الأركان في فروع شرائع أهل الإيمان .
- ٢- أسرار الشريعة وأنوار الحقيقة .
- ٣- اصطلاحات الصوفية .
- ٤- أمثلة التوحيد وأبنية التجريد، فارسي .
- ٥- البحر الخضم في تفسير القرآن .
- ٦- تلخيص اصطلاحات الصوفية .
- ٧- جامع الأسرار ومنبع الأبرار .
- ٨- جامع الحقائق . فارسي .
- ٩- رسالة الأركان؛ موضوعها: بيان الأركان الدينية الخمسة: الزهد، الصلاة، الصوم، الزكاة، والحج، والجهاد، شريعة وطريقة وحقيقة .
- ١٠- رسالة الأسماء الإلهية .
- ١١- رسالة الإمامة الإلهية في يقين الخلافة الربانية .
- ١٢- رسالة التنزيه، فارسي .
- ١٣- رسالة التوحيد .
- ١٤- رسالة الجداول الموسومة بمدارج السالكين في مراتب العارفين .
- ١٥- رسالة الحجب وخلاصة الكتب .
- ١٦- رسالة رافعة الخلاف عن وجه سكوت أمير المؤمنين عن الاختلاف، ألفها الشيخ السيد الأملي في العراق، إثر مجيئه إليها؛ إجابة لرغبة الشيخ فخر المحققين محمد بن بن الحسن بن المطهر الحلبي (٧٧١هـ) .

- ١٧ - رسالة العقل والنفس .
- ١٨ - رسالة العلم وتحقيقه .
- ١٩ - رسالة العلوم العالية .
- ٢٠ - رسالة الفقر وتحقيق الفخر .
- ٢١ - رسالة كنز الكنوز وكشف الرموز .
- ٢٢ - رسالة المعاد في رجوع العباد .
- ٢٣ - رسالة منتخب التأويل في بيان كتاب الله وحروفه وكلماته وآياته .
- ٢٤ - رسالة النفس في معرفة الرب .
- ٢٥ - رسالة نقد النقود في معرفة الوجود .
- ٢٦ - رسالة الوجود في معرفة المعبود .
- ٢٧ - كتاب الأصول والأركان في تهذيب الأصحاب والإخوان .
- ٢٨ - كتاب تعيين الأقطاب والأوتاد .
- ٢٩ - الكشكول فيما جرى على آل الرسول .
- ٣٠ - المحيط الأعظم والطود الأشمّ في تأويل كتاب الله العزيز الحكيم .
- ٣١ - المسائل الأملية .
- ٣٢ - منتخبات أنوار الشريعة .
- ٣٣ - منتقى المعاد في مرتقى العباد .
- ٣٤ - نص النصوص في شرح الفصوص .
- ٣٥ - نهاية التوحيد في بداية التجريد^(١) .

(١) جامع الأسرار ومنبع الأنوار: ١٩-٣٥.

وفاته

لم نعر على تاريخ وفاته، ولكن وردت ترجمته في المصادر الآتية:
مجالس المؤمنين للقاضي نور الله الشوشتري، ج ٢، ص ٥١ - ٥٤؛
روضات الجنّات لمحمد باقر الخوانساري، ج ٢، ص ٣٧٧ - ٣٨٠؛
أعيان الشيعة لمحسن العاملي، ج ٦، ص ٢٧١ - ٢٧٣؛ ريحانة الأدب
لمحمد علي التبريزي، ج ١، ص ٦٤؛ فوائد الرضوية للمحدّث القمي،
ج ١، ص ١٦٥ - ١٦٦؛ معجم بروكلمان، الذيل ٢، ص ٢٥٩؛ الأعلام
للزركلي، ج ٢، ص ٢٩٠ و....

وأما حجّ أهل الشريعة

فالحجّ عندهم من حيث اللغة القصد، ومن حيث الاصطلاح الشرعي القصد إلى بيت الله الحرام؛ لأداء مناسك مخصوصة متعلّقة بوقت مخصوص، وهو واجب ومندوب، فالواجب على ضربين:

مطلق ومقيّد، فالمطلق هو حجّة الإسلام، وهي واجبة بشروط ثمانية: البلوغ، وكمال العقل، والحرية، والصحة، ووجود الزاد والراحلة، والرجوع إلى كفاية من المال أو الصناعة أو الحرفة، وتخلية السرب من الموانع، وإمكان المسير، ومتى اختلّ واحد من هذه الشروط سقط الوجوب، ولم يسقط الاستحباب. ومن شروط صحة أدائها: الإسلام وكمال العقل، وعند تكامل الشروط تجب في العمر مرةً واحدة، وما زاد عليها فمستحب، ووجوبه على الفور دون التراخي. وأما المقيّد فهو يجب عند سبب، وذلك ما يجب بالندر أو العهد، وهو بحسبهما إن كان واحداً فواحداً، وإن كان أكثر فأكثر، ولا يتداخل الفرضان على الأقوى، وإذا اجتمعا لا يجزي^(١) أحدهما عن الآخر، وقد روي أنّه إذا حجّ بنية النذر أجزاءً عن حجّة الإسلام^(٢)، والأول أحوط، ولا ينعقد النذر به إلا من كامل العقل الحرّ، ولا يراعى باقي الشروط.

وأما أقسامه، فالحج على ثلاثة أضرب: تمتع، وقران، وإفراد، فالتمتع هو فرض من لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام، والإفراد والقران فرض من كان (كانوا) حاضريه، وحده من كان بينه وبين المسجد الحرام اثنا عشر ميلاً من أربع جوانب البيت، أعني أربع فراسخ؛ لأن كل فرسخ ثلاثة أميال، وكل ميل أربعة

(١) يجوز.

(٢) عوالي اللآلي ٣: ١٥٢، ح ٨.

آلاف ذراع، وكل ذراع أربعة وعشرون إصباعاً، فيكون المجموع أربعة فراسخ.
وأما أفعاله، فأفعال الحج على ضربين: مفروض، ومسنون، والمفروض على
ضربين: ركن وغير ركن في الأنواع الثلاثة التي ذكرناها، فأركان التمتع عشرة:
أربعة منها للعمرة، وستة للحج، أما التي للعمرة: فالنية، والإحرام، من الميقات في
وقته، وطواف العمرة، والسعي بين الصفا والمروة، أما التي للحج، فالنية بالحج،
والوقوف بعرفات، والوقوف بالمشعر، وطواف الحج، والسعي للحج، وما ليس
بركن فثمانية أشياء: التلبيات الأربع مع الإمكان أو ما يقوم مقامها مع العجز،
وركعتا طواف العمرة، والتقصير بعد السعي، والتلبية عند الإحرام بالحج أو ما
يقوم مقامها، والهدي أو ما يقوم مقامه من الصوم مع العجز، وركعتا طواف الحج،
وطواف النساء، وركعتا الطواف له.

وأما أركان القارن والمفرد فستة: النية، والإحرام، والوقوف بعرفات،
والوقوف بالمشعر، وطواف الزيارة، والسعي، وما ليس بركن فيهما أربعة أشياء:
التلبية أو ما يقوم مقامها من تقليد أو إشعار، وركعتا طواف الزيارة، وطواف
النساء، وركعتا الطواف له، ويتميز القارن من المفرد بسياق الهدى، ويستحب لهما
تجديد التلبية عند كل طواف.

وأما المسنونات فتلك كثيرة تعرف من مظانها، والسلام على من اتبع الهدى،
هذا حج أهل الشريعة على طريقة أهل البيت عليهم السلام.

وأما حج أهل الطريقة

بعد القيام بالحج المذكور والاعتقاد فيه ، فهو القصد إلى بيت الله الحقيقي والكعبة المعنوية بحسب السير والسلوك ، وليبت الله عندهم اعتبارات ، اعتبار في الآفاق واعتبار في الأنفس ، أما الآفاق فهو عبارة عن قلب الإنسان الكبير المسمى بالنفس الكلية والبيت المعمور واللوح المحفوظ ، وأما الأنفس فهو عبارة عن قلب الإنسان الصغير المسمى بالفؤاد والصدر والنفس الناطقة الجزئية ، وغير ذلك من الأسماء الواردة فيها ، والأول يتعلّق بأهل الحقيقة؛ لأنّه قبلتهم ، والثاني يتعلّق بأهل الطريقة فإنه أيضاً قبلتهم ، أما أهل الحقيقة وكيفية قصدهم وتوجههم إلى قبلتهم فستعرفها بعد هذا البحث إن شاء الله تعالى .

وأما أهل الطريقة وكيفية قصدهم وتوجههم إلى قبلتهم التي هي قلبهم ، فهي موقوفة على تقرير مقدمة ، وهي أنه ورد في الخبر: أن أول بيت مدت على الماء وظهرت على وجهه كانت الكعبة ، قبل الأرض وما عليها من البيوت ، وهو قوله ﷺ: «الكعبة أول بيت ظهرت على وجه الماء عند خلق السماء ، خلقه الله قبل الأرض بألفي عام ، وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الأرض تحته»^(١) ، وقد شهد بصحة ذلك قوله تعالى :

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) .

والمراد من إيراد الخبر والآية أنّك تعرف أن هناك كعبة صورية وكعبة معنوية ، وكل واحدة منهما تنقسم إلى قسمين : أما الصورية فقسم منها المسجد الصوري المسمّى ببيت الله الحرام ، وقسم آخر القلب الصوري المسمّى أيضاً ببيت الله

(١) راجع : مستدرك الوسائل ٩: ٣٣٥ ، باب ١٢ ، ح ٢ .

(٢) آل عمران : ٩٦ - ٩٧ .

الحرام، وأما المعنوية فقسم منها قلب الإنسان الكبير المعبر عنه بالنفس الكلية، وقسم آخر قلب الإنسان الصغير المعبر عنه بالنفس الناطقة الجزئية، فكما أن يصدق الخبر والآية من حيث التطبيق على القسمين الأولين، كذلك يصدق على القسمين الآخرين، لأن أول حقيقة ظهرت في العالم الروحاني من روح الإنسان الكبير المعبر عنه بأول ما خلق الله الروح أو العقل، كانت قلبه الحقيقي المعبر عنه بالنفس الكلية؛ لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتِّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾^(١) كما أن أول صورة ظهرت في العالم الجسماني المعبر عنه بالأرض كانت صورة البكة الصورية؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) وأول حقيقة ظهرت في العالم الروحاني من روح الإنسان الصغير المعبر عنه بقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^(٣) كانت قلبه الحقيقي المعبر عنه بقوله: «لا يسعني أرضي ولا سمائي، ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»^(٤)، كما أن أول صورة ظهرت في العالم الجسماني المعبر عنه بالبدن كانت صورة القلب الصوري المعبر عنه بالصدر لقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(٥) فكما أن من الكعبة الصورية يستدل على الكعبة المعنوية التي هي قلب الإنسان الكبير، فكذلك في الصورة القلبية يستدل على الكعبة المعنوية التي هي قلب الإنسان الصغير، بحكم قوله: ﴿سَرُّهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٦) وهذا بيان إجمالي محتاج إلى بيان تفصيلي، وهو أن نقول: إعلم أن قوله ﷺ: «الكعبة أول بيت ظهرت على وجه الماء عند خلق

(١) النساء: ١.

(٢) آل عمران: ٩٦.

(٣) الحجر: ٢٩.

(٤) علل الشرائع ١: ٣٦، باب ٣٢، ح ٧.

(٥) الشرح: ١.

(٦) فصلت: ٥٣.

السما...»^(١) الحديث، بالنسبة إلى الإنسان الكبير أول بيت يكون نفسه الكلية المسماة بيت الله الأعظم، وظهورها على وجه الماء يكون إشارة إلى العوالم الروحانية التي صدرت منها قبل العوالم الجسدية، فإن كل شيء يكون فوق شيء يكون هو عليه، ولا شك أن النفس الكلية فوق النفوس الجزئية والعوالم الروحانية، فتكون هي عليهما، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(٢) هذا معناه أيضاً، يعني كان العرش قبل خلق السموات وأرض الجسديات على الروحانيات من العقول والنفوس، إن أراد بالعرش العرش المعنوي الذي هو العقل الأول، وإن أراد بالعرش العرش الصوري على قول بعض المفسرين^(٣)؛ لأنهم قالوا: إن بين العرش والماء حيث لم يكن في أول الحال حایل يجوز أن يقال: إنه عليه، وهذا القائل ناصر الدين البيضاوي، هذا وجه.

ووجه آخر، أن الماء هو العلم

الإلهي الذي عليه كل شيء من حيث

الثبوت فيها دائماً أبداً، وتخصيصه

بالعرش يكون لعظمته، أعني إذا كان

قيام العظيم وبقاؤه به فالصغير

بالطريق الأولى، والغرض أنا إذا

فرضنا هذا الماء الذي عليه العرش نطفة الإنسان الكبير من حيث الصورة، كما هو

مقرر عند أهل الله، فيكون الماء بمعنى الماء الصوري، ويكون ظهورها عليه بمعنى

تعلقها بالنطفة التي يوجد منها صورة العالم بأسرها، فإن أهل الشرع قد اتفقوا على

أن ابتداء العالم كان من الماء، بحكم ورد عن النبي ﷺ في هذا الباب، وهو قوله:

أما حج أهل الطريقة.. فهو القصد إلى

بيت الله الحقيقي والكعبة المعنوية

بحسب السير والسلوك

(١) مرّ تخريجها.

(٢) هود: ٧.

(٣) تفسير البيضاوي ٢: ٢٥٣.

«أول ما خلق الله تعالى جوهرة، فنظر إليها فذابت حياءً أو قهراً» - على اختلاف الروايتين - فصارت نصفها ناراً ونصفها ماءً، فخلق من الماء السماوات، ومن النار الأرضون، أو خلق من الماء الجنة، ومن النار الجحيم، أو خلق من الماء الروحانيات، ومن النار الجسمانيات، ولا مشاحة في الألفاظ.

وبرهانهم على ذلك التطابق بين العالمين الآفاقي والأنفسي، فإن ابتداء العالم الصغير وإيجاده بحسب الصورة^(١) كان من الماء الذي هو النطفة، والصغير أنموذج^(٢) الكبير من جميع الوجوه، فيجب أن يكون هو أيضاً كذلك، وهذا أقرب الوجوه، لأن إيجاد الإنسان الصغير الذي هو نسخته وأنموذجه^(٣) حيث كان على هذا الوضع، لأنه أوله كان نطفة، ثم صار مضغّة، ثم صار علقة إلى آخر الأطوار، فيجب أن يكون هو كذلك.

وقوله: «عند خلق السماء» يكون إشارة إلى تقديم الروحانيات على الجسمانيات، بناءً على هذا الترتيب الأول لا الثاني، أعني من حيث النزول من العلويات إلى السفليات لا العكس.

وقوله: «قبل الأرض بألفي عام» يكون إشارة إلى أن النفس الكلية المسماة بالكعبة الحقيقية خلقها الله قبل الأجسام المعبر عنه بالأرض بألفي عام، يكون المراد بألفي عام طورين كاملين: الأول طور العقل، ثم طور النفس؛ لأنهما سابقان على الأرواح والأجسام بمدة مديدة، وأما دورين من أدوار الكواكب؛ لأن لكل كوكب منها دور خاص، وهو ألف سنة، ودور مشترك، وهو ستة آلاف سنة، ويكون المراد أن عالم الأجسام خلق بعد خلق الأنفس والأرواح بدورين كاملين، وقد سبق أيضاً هذا البحث مبسوطاً، وقد تقرّر أنّ في مدة دور زحل يكون العالم

(١) بحسب الصورة ساقطة.

(٢) كذا في النسختين.

(٣) كذا في النسختين.

خراباً، وفي ابتداء دور المشتري بيتدي بالعمارة، وفي آخرها توجه الحيوانات حتى ينتهي إلى الإنسان، فيكون المراد بالفي عام دور هذين الكوكبين على الوجه الذي قررناه، أو طوري العقل والنفس، وعندني هذا أنسب، وإن كان الوجهين [الوجهان] من عندي، وتقديم الأرواح على عالم الأجسام أظهر وأبين من أن يحتاج إلى بيان وبرهان، وسيما قد شهد به الخبر والقرآن، فإن النبي ﷺ قال: «خلق الله تعالى الأرواح قبل الأجساد بالفي عام»، والقرآن قد نطق بأن الأرواح قبل الأجسام في مواضع شتى، منها قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(١) الآية، قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٢)، وثم لا يكون إلا للتراخي.

«وكان زبدة بيضاء على وجه الماء»، إشارة إلى صفاء النفس الكلية ولطافتها بالنسبة إلى الروحانيات الأخر التي كانت تحتها المشار إليها بالماء، لأن كل ما هو أعلى من الروحانيات فهو ألطف، وكذلك من الجسمانيات أيضاً. وقوله: «فدحيت الأرض تحته» يكون إشارة إلى إيجاد عالم الأجسام بعدها، لأن عالم الأجسام وجد بعد عالم الأرواح بمدة مديدة، وفيه قيل: إن عالم الأمر والأرواح هو الذي لا يحتاج إلى مدة ومادة، وعالم الخلق والأجسام هو الذي يحتاج إلى مادة ومدة. هذا من حيث الخبر، وأما من حيث المعنى^(٣) يمكن هذا المعنى بعينه لكن يطول، فالإعراض عنها اعتماداً على أهلها أولى وأحسن.

وأما تطبيق الخبر بالنسبة إلى الإنسان الصغير، فقوله ﷺ: «الكعبة أول بيت ظهرت على وجه الماء عند خلق السماء...» الحديث، البيت بالنسبة إليه يكون القلب الحقيقي المسمى ببيت الله الحرام، وظهوره على وجه الماء يكون بمعنى تعلق

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) المؤمنون: ١٤.

(٣) الآية.

روحه بالنطفة من حيث التدبير والإيجاد إن قلنا بالتجرّد، وإن لم نقل بالتجرّد فذلك ظاهر، وخلقته عند خلق السماء يكون عبارة عن خلق الروح الإنساني المعبر عنه بالقلب قبل الروح الحيواني المعبر عنه بالسماء، وقبل الأرض بألّفي عام يكون إشارة إلى خلق روجه قبل بدنه بالطورين الكاملين المذكورين أو الدورين المعلومين، أعني كان إيجاد روجه قبل إيجاد بدنه ومادته الصورية بالطورين الكاملين من طوري العقل والروح، أو الدورين اللذين هما دور زحل والمشتري المتقدم ذكرهما.

وقوله: «زبدة بيضاء»، يكون إشارة إلى صفاء جوهريته ولطافته قبل تعلّقه بالبدن المعبر عنه بالأرض، وعلى وجه الماء يكون إشارة إلى النطفة التي هي مادة البدن وصورة الإنسان، ويكون المراد تعلق الروح بإيجاده وإظهاره في عالم الغيب وعالم الأمر.

وقوله: «فدحيت الأرض تحته» يكون إشارة إلى البدن، ويكون معناه أن الروح إذا توجهت إلى النطفة من حيث التدبير والتعلّق، دحيت وبسطت البدن بحسب حكمه وأمره؛ لينتظم حال الصورة الإنسانية باجتماعها واتحادها، وذلك تقدير العزيز العليم، وبناءً على هذا فمعنى الآية وهو أن يقول: ﴿أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾^(١) البدن، الذين هم قواه وجوارحه وأعضاؤه كان^(٢) صورة القلب الصوري دون المعنوي، ليتوجهوا إليه في تحصيل مقاصدهم ومعارفهم.

و﴿بَيْكَةً مُبَارَكًا﴾ يكون إشارة إلى صدره الذي يحيط به كمكة المسجد والمسجد بالكعبة، لأنّ الكعبة بمثابة القلب، والصدر بمثابة المسجد، والبدن بمثابة الحرم أو مكة، ومباركاً، يكون صفة للبركات التي تحصل منها من^(٣) المعارف

(١) آل عمران: ٩٦.

(٢) كانت.

(٣) ساقطة.

الإلهية والحقايق الربانية .

﴿وَهُدَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ أي هذا البيت هدى للطوائف التي ^(١) حوالبه من أهل عالمه، أي من قواه الروحانية والجسمانية والأرواح الحيوانية والنفسانية والنباتية وغير ذلك، والطائفتين والقائمين والركع السجود إشارة إليهم، كما سبق بيانه في معنى الشكر الحقيقي والحديث النبوي: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ يكون إشارة إلى حضرة العقل المستفاد التي هي حضرة القدس ومقام التداني، فإنه من أعظم آيات الله وأعلاها ^(٢).
﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ يكون ^(٣) تقديره أن من دخل هذا البيت المسمى بالقلب على ما ينبغي أمن من إغواء الشياطين النفس ^(٤) الأمارة، وإغواء عفريت الخيال، واختطاف جنود الوهم، وتصرف صعاليك ^(٥) الجن والإنس .

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، معناه أي والله على الناس التي ذكرناهم حج هذا البيت، أي القصد إليه والطواف له؛ ليطلعوا على آياته وأسراره وحقايقه، ويصلوا به إلى الله وإلى جناته وحضراته، لكن من استطاع إلى هذا سبيلاً، أي من استطاع إلى هذه الطريقة والقيام بها طريقاً وتمكناً، أي يتمكن من سلوك هذا الطريق بقوة الزاد الحقيقي الذي هو العلوم اليقينية والفناء الكلي والموت الإرادي المعبر عنهما بالعلم والعمل، لأن كل من لم يكن له هذه الاستطاعة يسقط عنه هذا الحج، كما تقرّر في الحج الشرعي الظاهر، ومن كفر بهذا الحج وخالف أمر الله وانتكس عن طريقه وانحرف عن استقامته، فإن الله غني عنه وعن العالمين الذين هم من أهل مدينته وبلده المعبر عنهما بالقوى والأعضاء والأرواح

(١) الذي من .

(٢) أعلاه .

(٣) فيكون .

(٤) والنفس .

(٥) صعاليك .

وأمثال ذلك، ومن يعتصم بالله في سلوك هذا الطريق والسير فيه، بالانقطاع إليه والتمسك بعنايته وهدايته، فقد هدي إلى صراط مستقيم، أي قد هدي إلى صراط مستقيم توحيد حقيقي الذي هو المقصود من السلوك والتوجه إلى بيت الله المعنوي، هذا بالنسبة إلى الأنفس والحج الحقيقي المعنوي السلوكي.

وأما بالنسبة إلى الآفاق والحج الآفاقي، والاطلاع على حقايق الملكوت والجبروت والطواف بهما، فقس على كل واحدة من هذه القوى عالم^(١) من العوالم ومظهر^(٢) من المظاهر، فإنك تجده حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة.

وإذا تقرر هذا وتحقق، فاعلم: أن كل من يريد أن يحج هذا الحج وأن يقصد هذا البيت يجب عليه أولاً أن يحرم من الميقات الذي هو الإحرام من مقام النفس وحظوظها، بمعنى أن يحرم عليه جميع الملذات والمشتبهات من المحرمات والمحللات، إلا بقدر الضرورة؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾، ويمنعها عن إيذاء كل حيوان وإنسان^(٣) قوة وفعلاً ونية وعزماً، ثم يتوجه إلى الحرم الحقيقي والبيت المعنوي الذي هو البدن وقواه؛ ليشاهد حاله وما حواليه من القوى المعبر عنها بالآيات والمشاعر، ويحصل له من ذلك علوماً ومعارف، لأن كل واحدة من قواه ومشاعره مشحونة بمعارف لا يطلع عليها إلا الكامل الفرد من أفراد العالم.

ويجب له الاشتغال في هذه الحالة بالتلبيات الأربع، ومعناها التي هي الإقرار باستغناء مالكه عن طاعته وعبادته وطاعة كل أحد وعبادته، واحتياج كل موجود إليه ذاتاً ووجوداً وحولاً وقوة، بحيث يسمع منه هذا النداء بسمع الحال، ويستقبل عليه بلبيك لبك على لسان الحال دون المقال، ليتحقق له حقيقة العبودية

(١) عالمًا.

(٢) مظهرًا.

(٣) ساقطة.

وكمال الربوبية .

ثم يدخل مسجد الصدر الذي هو المسجد الحرام، حول القلب الذي هو الكعبة الحقيقية، ويطوف به سبعة أشواط، أعني يطلع عليه سبع مرات؛ ليعرف حاله ويرتفع عنه حجاب الذي هو أخلاقه الذميمة وأفعاله الرديئة المعبرة عنه بسبعة حجب^(١) عدد أبواب الجحيم التي هي: العجب، والكبر، والحسد، والحرص، والبخل، والغضب، والشهوة، بحيث تزول منه هذه السبعة بسبعة من الطواف، ويكون كل واحدة منها علة إزالة كل واحدة منها، وعلّة اتصاف القلب بما يقابلها من الأخلاق الحميدة، كالعلم، والحكمة، والعفة، والشجاعة، والعدالة، والكرم، والتواضع .

ثم يصلي في مقام إبراهيم العقل صلوة (صلاة) الشكر؛ لاتصاله إلى هذا المقام بحض الطاقة وعين إشفاقه، وقد عرفت حقيقة الصلوة (الصلاة) قبل هذا، وتحققت أن المراد بها الإقرار بالعبودية الصرفة والألوهية المحضة بعد فنائه في السجود الأول فيه ورجوعه إلى القيام وبقائه به .

ثم يسعى بين الصفا والمروة، أي يسير بين عالمي الظاهر والباطن؛ ليشاهد محبوبه فيهما، ويطلع على الآيات التي يتعلّق بهما بحكم قوله: ﴿سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٢)، وتحصل له هذه المشاهدة الحقيقية والمعارف اليقينية ويتحقق معنى قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾^(٣) .

ثم يقصّر في المروة، أي يسقط عن رأسه ما بقي فيه من الأنانية والإثنية، ليخرج بهذا عن الإحرام وأفعال العمرة التي هي بمثابة الوضوء إلى

(١) أشواط حجب .

(٢) فصلت: ٥٣ .

(٣) فصلت: ٥٣ .

الصلوة (الصلاة)، ويحل عليه كل ما حرّم به قبل ذلك، لأن العبد في مقام الأنانية والغيرية لا يحل له شيء أصلاً بمذهب العارفين، فإذا خرج منها وصار فانياً فيه باقياً به حلّ عليه كل شيء، وبل بقوله: يحرّم ويحلّ، لأنه الخليفة والآمر والناهي، فافهم ذلك جداً؛ ليحصل لك معرفة مقام النبوة ثمّ الولاية، لأنّه ليس غيرهما بعد الحقّ متصرف في الوجود.

ويشهد بذلك قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ثمّ يحرم إحراماً^(١) آخر من حضرة العقل تحت ميزاب القلب، لأنّ العقل كالميزاب بالنسبة إلى القلب، لأنّ من بحر القلب تجري الحكمة والمعارف على ميزاب العقل، ويصل إلى ما تحته من القوى، لقوله ﷺ: «مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ»، أي لسان العقل الذي هو المترجم بالنسبة إلى القلب.

ثمّ يتوجه إلى عرفات الدماغ وجبل العرفان؛ للوقوف به والاطلاع على ما حواليه من الآيات والمعارف والحقايق، لأنّ الدماغ بالنسبة إلى البدن تارة كجبل أبوقبيس أو جبل هراة^(٢)، وتارة كعرش المجيد أو عرش الكريم المتقدم ذكره، وفي هذا المقام يقع العارف بين آدم الحقيقي الذي هو الروح وبين النفس الكلية^(٣) التي هي حواء، وما سمى تلك الحضرة بعرفة إلاّ لهذا، ويشهد به قوله ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه».

ثمّ يرجع إلى المشعر، أي^(٤) الوقوف بمشاعره الصورية والمعنوية المعبرة عنها بالحواس العشرة، ليطلع على أحوال كلّ واحدة منها، ويخرجها من حكمه ويجعلها مطيعة لخالقه وربّه بحكم «كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله...» الحديث،

(١) إحرام.

(٢) كذا وفي النسخة الأخرى هرات، والظاهر حراء.

(٣) الكلبي الذي هو.

(٤) إلى.

لأن الحواس ما دامت في حكم العبد فهي مطيعة للنفس الأمارة متابعة لشيطان الهوى المردي، فأما إذا صارت بحكم الرب مطيعة لما أمر به من الأوامر والنواهي، فهي مطيعة للنفس المطمئنة متابعة للعقل الذي هو الأمير والحاكم في مدينتها وبلدها.

ثم يرجع إلى منى عالم الصدر لرمي أحجار أخلاقه الذميمة وأوصافه الردية عند الجمار الثلاث التي هي المعدن والنبات والحيوان، أعني في عالم المركبات وما يتعلّق به، وسبب ذلك أن هذا مقام الإخلاص ومقام الخطر العظيم؛ لقوله ﷺ: «العالمون كلّهم هلكت إلا العاملون، والعاملون هلكت إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم»، فصاحب هذا المقام إن خلص عند الإحرام من أخلاقه وأوصافه، لكن إذا رجع إلى مقام التكميل وحالة البشرية بحكم قولهم: النهايات الرجوع إلى البدايات، يجب الاحتراز أيضاً عن رجوعه إلى تلك الأخلاق، لأن بهذا ورد: «حسنت الأبرار سيئات المقربين».

ثم يتوجه إلى حلق رأسه، أي رأس نفسه من الأنانية، ورؤية الفعل والحول والقوة منه الذي هو الأعظم من الأول، والحجب والموانع من الاستقامة على ما هو عليه من الكمال والتكميل.

ثم يتوجه إلى ذبح نفسه مرة أخرى، بحيث لا يبقى منها اسم ولا رسم لقوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾^(١).

ثم يرجع إلى الكعبة للطواف الثاني، أي يرجع إلى الكعبة الحقيقية التي هي القلب للطواف الثاني، أي للاطلاع مرة أخرى عليه ليظهرها من دنس مشاهدة الغير بالكلية، وهذا مقام قوله ﷺ: «وأنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة»؛ لأن النبي المعصوم ما له ذنب شرعي حكمي حتى يستغفر من

(١) البقرة: ٥٤.

ذلك الذنب، بل ذنبهم في طريق سلوكهم وتوجههم إلى الله تعالى هو مشاهدة الغير ولو طرفة عين، وذلك من غلبة عالم البشرية وقوة النفس الحيوانية بمقتضاها، وقد مرّ تفصيل ذلك أيضاً.

ثمّ يصلي في مقام إبراهيم عليه السلام ركعتي طواف الحج، أي ركعتي صلوة الشكر بوصوله إلى محبوبه ومقصوده في توجهه وقصده في صلوته (صلاته) الحقيقية.

ثمّ يسعى مرّة أخرى بين صفاء العالم الروحاني ومروءة العالم الجسماني، أو بين صفاء القلب ومروءة النفس، ليشاهده^(١) فيها آيات كمال مظهره ومشاهدة علامات جماله وجلاله.

إنّ العبد في مقام الأناية والغيرية لا يحل له شيء أصلاً بمذهب العارفين

ثمّ يقصر في مروءة العالم الجسماني أو مروءة النفس بحذف ما بقي فيه مشاهدة الكثرة في عالم الوحدة.

ثمّ يرجع إلى منى لرمي الجمار الثلاث في أيام التشريق، أي يرجع من كعبة القلب مرة أخرى إلى منى الصدر في أيام التشريق التي هي أيام التوحيد التفصيلي المعبر عنه بالفعلي والوصفي والذاتي، لحذف كلّ ما سواه في المراتب الثلاث بحيث لا يبقى عنده إلا الحقّ تعالى جلّ ذكره، ويرتفع عن نظره الخلق بأسره، بحيث لا يبقى لهم وجود أصلاً عنده ولا له أيضاً، ويشاهد الحق من حيث هو الحق تارةً في عالم وحدته مجرداً عن جميع الاعتبارات، وتارةً في عالم كثرته تحت ملابس أسمائه وصفاته وجماله وجلاله، وتارةً في عالم الجمع بينهما المتقدم ذكره عند التوحيد

(١) ليشاهد فيهما وآيات كمال مظهره وعلامات مشاهدة جماله وجلاله.

الجمعي الحمدي، وهذا هو المقصود من الحج المعنوي عند أرباب الطريقة .
وإذا عرفت هذا، فلنشرع في حج أهل الحقيقة وبيانه، وهو هذا:

وأما حج أهل الحقيقة

فالحج عنهم بعد قيامهم بالحجيين المذكورين عبارة عن القصد والتوجه من حيث السير المعنوي إلى قلب الإنسان الكبير، الذي هو بيت الله الأعظم المسمى بالبيت المعمور وحضرة القدس والنفس الكلية وأمثال ذلك، كما أن حج أهل الطريقة عبارة عن قصدهم وتوجههم إلى قلب الإنسان الصغير، وبيان ذلك يحتاج إلى تمهيد مقدمات .

منها: قول بعض العارفين في تطبيق العالمين:

إعلم أن سلطان الروح الجزئي الذي هو روح الإنسان الصغير كما لا يكون إلا في الدماغ، فكذلك سلطان الروح الكلي الذي هو روح الإنسان الكبير المسمى بالعالم لا يكون إلا في العرش الذي هو بمثابة الدماغ منّا، وكما أن مظهره الأول في الإنسان الصغير هو القلب الصوري الذي هو منبع حيوة (حياة)، فكذلك مظهره الأول في الإنسان الكبير هو الفلك الرابع، الذي هو فلك الشمس ومنبع حيوة^(١) العالم، فإنه بمنزلة الصدر فيه، والشمس بمنزلة القلب الصوري .

وأما القلب الحقيقي فهو النفس الكلي المسماة باللوح المحفوظ والكتاب المبين و آدم الحقيقي المشار إليه في قوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾^(٢) الآية، وروح الفلك الرابع بمثابة الروح الحيواني الذي في القلب: إذ به تحيا جميع الأعضاء، وهو البيت المعمور المشهور في الشريعة أنه في السماء الرابعة، المقسم به في التنزيل حيث قال: ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ

(١) حياة.

(٢) النساء: ١ .

الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ^(١) ولهذا جعلت^(٢) مقام عيسى روح الله، وكانت معجزته إحياء الموتى، والطور هو العرش، والكتاب المسطور هو النفس الكلية التي هي قلب العالم، والرق المنشور هو الفلك الثامن الذي هو مظهره، والسقف المرفوع يجوز أن يكون العرش، ويجوز أن يكون سماء الدنيا، والبيت المعمور يجوز أن يكون الفلك الرابع، ويجوز أن يكون النفس الكلية، والفلك الثامن أيضاً^(٣) الذي هو مظهر النفس الكلية، والبحر المسجور هو بحر الهيولى السيالة المملوءة بالصور، ويجوز أن يكون عالم البرزخ الأول المركب من العالمين الروحاني والجسماني المسمى بالخيال المطلق المملوء بصور الموجودات كلها، ومع ذلك نشرع في تفصيله بحكم الحديث النبوي والآية المذكورة مرة أخرى، ليتحقق عندك ما قررناه.

أما الحديث، فقلوه ﷺ: «الكعبة أول بيت ظهرت على وجه الماء عند خلق السماء، خلقه الله قبل الأرض بألفي عام، وكان زبدة بيضاء على وجه الماء ودحيت الأرض تحته».

وأما الآية فقلوه تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ إلى آخرها^(٤).

وبيان الحديث وهو أنه يكون المراد من قوله: الكعبة أول بيت ظهرت على وجه الماء عند خلق السماء، ما تقدم ذكره عند حج أهل الطريقة، وهو أن الكعبة هي النفس الكلية المسماة ببيت الله الأعظم، وظهورها على وجه الماء يكون إشارة إلى العوالم الروحانية التي صدرت منها قبل العوالم الجسمانية، فإن كل شيء يكون فوق شيء يكون هو عليه، ولا شك أن النفس الكلية فوق النفوس الجزئية والعوالم

(١) الطور: ١-٦.

(٢) جعل.

(٣) ساقطة.

(٤) آخره.

الروحانية فتكون هي عليها.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(١) هذا معناه أيضاً، يعني كان العرش قبل خلق^(٢) السموات والأرض الجسمانيين [الجسمانيين] على الروحانيين [الروحانيين]^(٣) من العقول والنفوس إن أردنا بالعرش العرش المعنوي الذي هو العقل الأول، وإن أردنا بالعرش العرش الصوري الذي هو الفلك الأعظم الأطلس أعني التاسع، يكون المراد بالماء الماء الصوري على قول بعض المفسرين، لأنهم قالوا: إن العرش والماء حيث لم يكن في أول الحال حايلاً وكان بينهما خلاء يجوز أن يقال: إنه عليه، وهذا ذكره ناصر الدين البيضاوي في تفسيره^(٤).

وهاهنا أبحاث:

ويجوز أن يكون الماء إشارة إلى الهولي الكلية التي هي بمثابة الماء بالنسبة إلى النفس الكلية التي فوقه بمراتب، ويجوز أن يكون ذلك قبل الفتق في حالة الرتق الذي هو إجمال المادة كلّها في حالة كانت العقل والنفس والعرش والكرسي حقيقة واحدة ومادة كلية، لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾^(٥) الآية.

وهكذا ورد في اصطلاح العارفين في تعريف الفتق والرتق وهو قولهم: الرتق إجمال المادة الوجدانية المسماة بالعنصر الأعظم المطلق المرتوق قبل السموات والأرض، المفتوق بعد تعيينها بالخلق، وقد يطلق على نسب الحضرة الواحدية باعتبار لا ظهورها، وعلى كلّ بطون وغيبية كالحقايق المكنونة في الذات الأحدية

(١) هود: ٧.

(٢) ساقطة.

(٣) الروحانيات.

(٤) تفسير البيضاوي ٢: ٢٥٣.

(٥) الأنبياء: ٣٠.

قبل تفصيلها في الحضرة الواحدية مثل الشجرة في^(١) النواة، والاستشهادات في ذلك كثيرة.

هذا وجه ووجه آخر:

إن الماء هو العلم الإلهي الأزلي عليه كل شيء من حيث فيه دائماً أبداً، وتخصيصه بالعرش يكون لعلو شأنه وعظمة جلاله وكبريائه، أعني إذا كان قيام العظيم الذي هو العرش به وبوجوده فالصغير بالطريق الأولى، والغرض أنا إذا فرضنا هذا الماء الذي عليه العرش نطفة الإنسان الكبير من حيث الصورة، كما هو مقرر عند أهل الله، فيكون الماء بمعنى الماء الصوري، ويكون ظهورها عليه بمعنى تعلقها بالنطفة التي توجد منها صورة العالم بأسرها، فإن أهل الشرع قد اتفقوا على أن ابتداء العالم وإيجاده كان من الماء، وتمسكوا في ذلك بقوله بالحديث النبوي بعد القرآن والبحث الذي في سورة الدخان كقوله ﷺ: «أول ما خلق الله تعالى جوهره، فنظر إليها فذابت تلك الجوهرة حياءً أو قهراً - على اختلاف الروايتين - فصار نصفها ماءً ونصفها ناراً، فخلق من الماء السموات ومن النار الأرضون، أو خلق من الماء الجنة ومن النار المحيم، أو خلق من الماء الروحانيات ومن النار الجسمانيات ولا مشاحة في الألفاظ، واستدلوا بذلك^(٢) التطابق بين العالمين، فإن ابتداء العالم الصغير وإيجاده بحسب الصورة كان من الماء الذي هو النطفة، والصغير أنموذج^(٣) الكبير من جميع الوجوه، فيجب أن يكون هو أيضاً كذلك، وهذا أقرب الوجوه، لأن إيجاد الصغير الذي هو نسخته وأنموذجه^(٤) حيث كان على هذا الوضع، لأن أوله كان نطفة، ثم صار علقة، ثم صار مضغة إلى آخر الأطوار، فيجب

(١) و.

(٢) على ذلك بالتطابق.

(٣) هكذا في النسختين.

(٤) كذا في النسختين.

أن يكون هو كذلك .

وقوله : عند خلق السماء ، يكون إشارة إلى تقديم الروحانيات على الجسمانيات بناءً على الترتيب الأول لا الثاني ، أعني من حيث النزول من العلويات إلى السفليات لا العكس .

وقوله : « قبل الأرض بألفي عام » يكون إشارة إلى أن النفس الكلية المسماة بالكعبة الحقيقة خلقها قبل الأجسام المعبر عنها^(١) بالأرض بألفي عام ، ويكون المراد به طورين كاملين : الأول طور العقل ثم طور النفس ، لأنهما سابقان على الأرواح والأجسام بمدة مديدة ، أو دورين من أدوار الكواكب السبعة ، لأن لكل كوكب منها دور خاص و هو ألف سنة ، ودور مشترك وهو ستة آلاف سنة ، ويكون المراد بذلك أن عالم الأجسام خلق بعد خلق الأنفس بدورين كاملين من أدوار الكواكب السبعة .

وقد سبق هذا البحث أيضاً ، وقد تقرّر هناك أن في مدّة دور زحل يكون العالم خراباً ، وفي ابتداء دور المشتري يبتدي بالعمارة ، وفي آخرها توجد الحيوانات حتى تنتهي إلى الإنسان ، فيكون المراد بألفي عام دوري^(٢) هذين الكوكبين على الوجه الذي قرناه أو طوري العقل والنفس ، وعندني هذا أنسب ، وإن كان الوجهان من عندي .

(١) عنه .

(٢) دورين .

وتقديم عالم الأرواح على عالم الأجسام أظهر وأبين من أن يحتاج إلى بيان وبرهان، وسيما قد شهد به الخبر والقرآن، فإن النبي ﷺ قال: «خلق الله تعالى الأرواح قبل الأجساد بألفي عام»، والقرآن قد نطق بأن الأرواح قبل الأجسام في مواضع شتى، منها قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (١) الآية، وقوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (٢)، وشم لا يكون إلا للتراخي.

«وكان زبدة بيضاء على وجه الماء»، إشارة إلى صفاء النفس الكلية ولطافتها بالنسبة الى الروحانيات الأخر التي كانت تحتها المشار إليها بالماء، لأن كل ما هو أعلى من الروحانيات فهو الطف، وكذلك من الجسمانيات أيضاً.

قوله: «فدحيت الأرض تحته» يكون إشارة إلى إيجاد عالم الأجسام بعدها، أي بعد الأرواح، لأن عالم الأجسام وجد بعد عالم الأرواح بمدة مديدة، وفيه قيل: إن عالم الأمر والأرواح هو الذي لا يحتاج إلى مدة ومادة، وعالم الخلق والأجسام هو الذي يحتاج إلى مادة ومدة، هذا تأويل الخبر.

وأما تأويل الآية على سبيل البسط فيطول ويخرج المبحث من المقصود، وأما على سبيل الاختصار فاعلم:

أن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٣).

﴿أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ إشارة إلى البيت المذكور الذي هو النفس الكلية ومظهرها الذي هو الفلك الثامن.

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) المؤمنون: ١٤.

(٣) آل عمران: ٩٦-٩٧.

﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ إشارة إلى مطلق الإنسان من حيث العموم وتكليف الكل بالتوجه إليه، وإلى أشرف الناس منهم الذين هم الأنبياء والرسل والأولياء والأوصياء والعارفين من أمة كل نبي على الخصوص.

و ﴿بِبَكَّةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ إشارة إلى الفلك الثامن الذي هو مظهرها المعبر عنه بالكرسي، ﴿مُبَارَكًا﴾ إلى البركات التي هي حوالها من المعارف والحقايق النازلة منها إلى ما دونها من المخلوقات والموجودات.

و ﴿وَهْدَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ إشارة إلى فيضانه وتجلياته لجميع العالمين، فإن فيضان^(١) جميع العالمين من جنابه القدسي وحضرته العليا، والمراد بالفيضان إما الوحي وإما الكشف وإما الإلهام، فإن حصول^(٢) العلوم والفيض من الله غير هذه الوجوه الثلاث [الثلاثة] مستحيل.

و ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ إشارة إلى مشاهدة آيات الملكوت والجبروت بواسطتها، فإنها محل تفصيل المعلومات والموجودات، كما أن العقل الأول محل تجميل المعلومات والموجودات.

و ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ إشارة إلى وصول السالك بواسطتها إلى مقام التوحيد الجمعي الحقيقي الإبراهيمي الذي لم يكن منشأه في عالم الشهادة إلا منه، ولهذا أمر نبينا ﷺ بمتابعته في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) ولقوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُّصَلًّى﴾^(٤).

ولولا خصوصية إبراهيم ﷺ بهذا المقام ما قال تعالى في حقه: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي

(١) فيضانها.

(٢) ساقطة.

(٣) آل عمران: ٦٨.

(٤) البقرة: ١٢٥.

إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿١﴾ .

وقوله: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ إشارة إلى أن من دخل البيت المذكور على الوجه المذكور أمن من جميع الشبهات والشكوك، وعلى الخصوص من المشركين^(٢) المذكورين أعني الجلي والحفي، وعلى الجملة عن حجب رؤية الغير مطلقاً .

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ أي والله على الناس المستعدين لهذا المقام حج هذا البيت، أي قصد هذا البيت على الوجه المذكور، أي من حيث المعرفة والمشاهدة والكشف والشهود .

وقوله: ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ دليل على تخصيصه بطائفة متمكنين منه مستطيعين لسبيله بقوتي العلم والعمل، فإن زاد هذا الحج وراحلته المسمى بالاستطاعة العلم والعمل، أي العلم النافع والعمل الصالح .

والعلم النافع يحصل بوجهين: إما من الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر، وهو المعبر عنه بالوحي والإلهام، والكشف، وإما منه بواسطة بعض عبده من العارفين كالأنبياء والأولياء^(٣) والرسل، وإليها أشار بقوله في الأول:

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٤) .

وفي الثاني بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَسُّ مَا يَشْتَرُونَ﴾^(٥) .

والعمل الصالح أيضاً يكون على قسمين:

(١) الأنعام: ٧٥ .

(٢) الشركين .

(٣) وأولياء .

(٤) العلق: ٣ - ٥ .

(٥) آل عمران: ١٨٧ .

قسم يختص بأهل الشريعة والطريقة، وهو الذي لا يدخل فيه الرباء والسمعة والشك والشبهة وأمثال ذلك، بل يكون خالصاً مخلصاً لله تعالى لقوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١)، ولقوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾^(٢).

وقسم يختص بأهل الحقيقة وأهل الوصول، وهو الذي لا يشاهد صاحبه في الوجود غير الحق تعالى جلّ ذكره، وقد عرفت تحقيقه مراراً. وإليه أشار بقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٣).

وقوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ أي بهذا الحج ولم يفعل ولا يقرب به فهو من المشركين المحجوبين ليس الخطاب إليه، فإن الله غني عنه وعن أمثاله من العالمين إنساناً كان أو جنناً، وإن الله لغني عن العالمين وعن طاعتهم وعبادتهم من حيث هو هو، فإن الطاعة والعبادة فايدهما عايدتان إلى المكلف لا غير، ولا الحق تعالى فإنه غني عن العالمين وطاعتهم وعبادتهم؛ لأنه لا يجوز أن يستكمل هو بغيره، والغرض العايد إليه نوع استكمال فلا يجوز، فحينئذ لا يكون عايداً إليه، والعلة في ذلك أنه لا يقع فعل الحكيم الكامل^(٤) عبثاً، فإن كل فعل يصدر من فاعل لا لغرض يكون عبثاً والعبث على الله تعالى محال، لقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾^(٥)، ولقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(٦)، فيجب أن يكون لغرض، وحوالة الغرض إليه كما ذكرنا محال، فيجب أن يكون إلى

(١) الأنعام: ١٦٢.

(٢) الزمر: ٣.

(٣) الكهف: ١١٠.

(٤) العامل.

(٥) الدخان: ٣٨.

(٦) المؤمنون: ١١٥.

العبيد وهو المطلوب .

ولهذا قال في مواضع كثيرة من القرآن: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾^(١)، وقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾^(٢).

وهاهنا أبحاث كثيرة نختصر^(٣) على ذلك، وإذا تقرر هذا، وعرفت هذه المقدمات والضوابط والقواعد التي فيها بحكم الآية والخبر، فلنشرع في الترتيب والتفصيل، وكيفية ترتيب هذا الحجج، والوصول إلى المقصد، وهو هذا:

إعلم أنه من أراد أن يتوجه إلى هذا البيت ويقصد زيارته، أعني الوصول إليه، يجب عليه أولاً أن يأخذ الإحرام من مشاهدة عالم المحسوسات مطلقاً، بمعنى أن يحرم على نفسه مشاهدة عالم الجسمانيات وما يتعلق به من اللذات، ثم يتوجه إلى عالم الروحانيات التي هي بمثابة الحرم ومكة وبكة وغير ذلك من الاعتبارات حتى يصل إليهم بالفعل، ويتصف بصفاتهم ويتخلق بأخلاقهم، ويحصل له معارف ذواتهم وخواصهم ولوازمها، ثم يتوجه إلى الكعبة الحقيقية التي هي النفس الكلية ومعارفها وحقايقها، ويطوف بها سبعة أشواط ليحصل له بكل شوط معرفة كل فلك من الأفلاك السبعة أو العلوم السبعة القرآنية^(٤) المشار إليها بقوله ﷺ: «إن للقرآن ظهراً وبطناً ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن».

(١) فصلت: ٤٦.

(٢) الأنعام: ١٠٤.

(٣) نقتصر.

(٤) هاهنا حاشية للمؤلف ﷺ في النسخة الأولى، وليست في الثانية، ولهذا نذكرها، وهي: هذه: أي في العلوم السبعة القرآنية: وهي علم التوحيد، والتجريد، والفناء، والبقاء، وعلم الذات، والصفات والأفعال، وعلم النبوة والرسالة والولاية، والمرورة، وعلم الوحي والإلهام والكشف، وعلم المبدأ والمعاد والحشر والنشر، وعلم الأخلاق والسياسة والتهديب والتأديب، وعلم الآفاق والأنفس والتطبيق بينهما، فإنه أعظم العلوم وأشرفها، وقيل: المراد بالعلوية السبعة غير ما ذكرنا آنفاً، والإصحح ما ذكرناه، لأنه مناسب لما نحن بصدده في هذا الكتاب.

ثم يتوجه إلى مقام إبراهيم الذي هو مقام الوحدة والحضرة الواحدية المعبرة عنها بالعقل الأول والروح الأعظم، ويصلي فيه ركعتي الشكر بوصوله إلى تلك الحضرة، والركعتان عبارتان عن فئائه أولاً عن عالم الظاهر، وثانياً عن عالم الباطن وما اشتمل عليهما من المخلوقات والموجودات حتى نفسه.

ثم يتوجه إلى السعي بين الصفا والمروة، أي بين عالمي الظاهر والباطن؛ ليطلع عليهما بسعيه واجتهاده مرة أخرى، ويقطع النظر عن الكثرة بمطالعة ما في ضمنها من الوجود الواحد الحق، ويستقرّ في المقام الجمعي المقصود بالذات، كما قال عليه السلام: «الدنيا حرام على أهل الآخرة والآخرة حرام على أهل الدنيا، وهما حرامان على أهل الله».

ويعرف هذا أيضاً من تقسيم أهل الشمال وأهل اليمن والمقربين المتقدم ذكرهم، وإليه أشار العارف بقوله: وعليكم بهما، فإن جامعها موحد حقيقي جامع للجميع، وله المرتبة العليا والغاية القصوى.

ثم يقصّر بمرورة عالم^(١) الظاهر التي هي نهاية الكثرة بإسقاط ما بقي عنده من الأثانية ورؤية الغير.

وهذا تمام أفعال العمرة المتمتع بها إلى الحج.

ثم يتوجه إلى الكعبة مرة أخرى إلى مشاهدة النفس الكلية والاطلاع على حقائقها؛ ليأخذ إحرام الحج من عندها تحت ميزاب العقل على الترتيب المعلوم.

ثم يتوجه إلى مقام عرفات النفس والعقل عند الجبل الحقيقي الذي هو العرش الصوري مظهر العقل الأول، ليتحد بهما بقوة المعرفة الحاصلة له بأن الكل واحد، ولهذا سمي هذا المقام عرفاتاً، لأنه مقام المعرفة الحقيقية، وليس وراء هذا الحضرة حضرة أخرى إلا حضرة الذات المتمتع الوصول إليها لأحد، والمراد بالوصول

(١) العالم.

الاتصاف، والاتصاف بالحضرة الأحدية الذاتية مستحيل، وفيه قيل: ليس وراء عبادان قريبة، وفي هذا المقام يحصل الوصول إلى التوحيد الجمعي الحقيقي المعبر عنه بالتوحيد المحمدي مرة أخرى.

والفايدة والفرق بينهما أن في

**ويذبح نفسه مرةً أخرى ذبحاً لا تكاد تعيش
أبداً، أي بالحياة الدنيوية المجازية، لأنه
صار حياً بالحياة الحقيقية.**

التوحيد الأول يرتفع الخلق عن نظره بالكلية لقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(١)، وفي التوحيد الثاني يرتفع الصفات كلها، لقول

العارف الرباني صلوات الله عليه: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه»^(٢) بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، وفي هذا المقام يصير الإنسان إنساناً، والكمال كاملاً، والعارف عارفاً، ولهذا يجب الرجوع إلى التكميل وعالم الكثرة لقوله تعالى: ﴿وَلْيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾^(٣)، ولقول الجنيد عليه السلام لما سئل عن النهايات: الرجوع إلى البدايات، وهذا هو سرّ رجوع الحاج من عرفات إلى منى وفيه ما فيه من الأسرار أيضاً.

ثم يرجع إلى منى عالم الكثرة الذي هو عالم المشاعر الإلهية والمناسك الربانية من الأفلاك والأجرام والعناصر والمواليد، وينظر إليهم بنظر الوحدة الحقيقية دون الأول، ويشاهدهم على أنهم مظاهر إلهية ومشاعر ربانية والمظهر عين الظاهر والظاهر نفس المظهر، فيشاهدهم عيناً من وجهه، غيراً من وجهه، خلقاً من وجهه،

(١) القصص: ٨٨.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة رقم ١: بحار الأنوار، ٤: ٢٤٧، باب ٤، ح ٥.

(٣) التوبة: ١٢٢.

حقاً من وجه كما سبق ذكره من كلام العارف .
ثم يشتغل بأداء المناسك فيه، أي في منى عالم الظاهر، من الرمي والذبح
والحلق .

ويرمي أولاً في جمرة العقبة التي هي الدنيا ومتاعها سبع طبقات، عالمها
العنصرية والطبيعية من الموالي، رمياً لا يمكن الرجوع إليها، وهذا رمي عرفان لا
رمي عيان، أعنى رمي نظر لا رمي تصرف، فإنه إذا رجع من العوالم المذكورة يجب
له التصرف في الكل تصرف تملك وتحقيق .

ثم يذبح نفسه مرة أخرى ذبحاً لا تكاد تعيش أبداً، أي بالحياة (بالحياة)
الدنيوية المجازية، لأنه صار حياً بالحياة (الحياة) الحقيقية المشار إليها في قوله:
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(١)، وفي
قوله: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ
فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾^(٢) .

ثم يحلق رأسه، أي رأس النفس عن محبة الدنيا ومتاعها، حلقة لا يكاد يرجع
إليها أبداً رجوع نفساني لا غير، فإن حذف الدنيا نفسك يحكم بالتصرف فيه بقدر
الحاجة للناقص وبالمجموع للكمال، والمراد إسقاطها عن درجة الاعتبار بالكلية،
لأن الدنيا وما فيها ليس عند التحقيق إلا عدم صرف وخيال محض قائمة بأوهام
كاذبة لقوله ﷺ: «الدنيا قائمة بالوهم»، ولقول الإمام ﷺ: «محو الموهوم مع صحو
المعلوم»، لهذا قال: «قد طلقتك ثلاثة لا رجعة فيها»^(٣)، وقال عيسى ﷺ: «يا
طالب الدنيا ليبر بها تركك لها أبر أبر وأبر أبر»^(٤) .

ثم يرجع من هذا المقام إلى مقام البقاء الذي هو البقاء بعد الفناء، ويطوف

(١) آل عمران : ١٦٩ .

(٢) الأنعام : ١٢٢ .

(٣) نهج البلاغة ، الحكمة ٧٧ .

(٤) لتبر .

بالكعبة المذكورة طواف (طوافاً) آخر، أي يطلع عليها مرّة أخرى بسبع توجهات بمقتضى نشأته التي هي سبعة أطوار، لقوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾^(١) ليحصل بذلك التصرف في سبعة أقاليم الأرض وسبعة أقاليم الأفلاك المعبرة عنهما بالملكوت والجبروت.

ثمّ يصلي في مقام ابراهيم الوحدة الحقيقية ركعتي الصلوة (صلاة) العيدين الأضحى والفطر، لأن اتصافه بالفناء عن الكل عيد، وبقاؤه بعد الفناء عيد آخر، ويجب صلوة (صلاة) العيد سيّما هذا العيد في مقام المخصوص^(٢) بها، وهو مقام الوحدة الحقيقية، فافهم جداً فإنّه دقيق.

ثمّ يرجع إلى منى عالم الكثرة في المراتب الثلاث التي هي المعدن والنبات والحيوان، ويكون فيه ثلاثة أيام الإلهية لتكميل الغير، فإنّه نهاية^(٣) مقام المرام وغاية مقاصد الكرام، وفيه ورد: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾^(٤).

والله أعلم وأحكم وهو يقول الحق وهو يهدي السبيل، رزقنا الله الوصول إلى مثل هذا الحجّ بحق الحق.

(١) نوح: ١٤.

(٢) الخصوص.

(٣) مقام نهاية.

(٤) المائدة: ٣.

كفاية المحتاج إلى مناسك الحاج

للشيخ جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمّد بن فهد الحلّي

المتوفى ٨٤١هـ

تحقيق: عبدالهادي العاملي

مقدمة التحقيق:

لا يخفى ما في فريضة الحجّ والعمرة من الأهمية البالغة لدى المسلمين، وما فيها من المضامين العالية التي لا يبلغ حدّها إلا من أعطي مقاماً شامخاً ومرتبة عالية من الإيمان والتقوى والورع، ومن المعلوم أنّ الحجّ ليس لنزهة، ولإمضاء وقت، ولا لأداء حركات معينة، بل هو إنابة وتوبة وحديث العبد مع ربه (جلّ وعلا)، لأنّ المؤمن إذا انتهى من فريضة الحجّ عاد كيوم ولدته أمّه كما في الحديث، فحريّ بنا أن نهتم بهذه الفريضة بقدر ما لها من الأهمية والفضل والمكانة، ولا بد من إتقان أحكامها لئلا يشملنا قول الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام حيث قال: «ما حججت إلا أنا وناقتي وعلي بن يقطين».

وبعد، بين يديك عزيزي القارئ، واحدة من عشرات الرسائل والكتب في الحجّ التي ألفها علماؤنا الأبرار وبذلوا جهوداً متضافرة لإيصالها إلينا ولأجيالنا القادمين، ألا وهي «كفاية المحتاج إلى مناسك الحاج»، وهي مشتملة على واجبات الحجّ والعمرة، وكلّ باب منها إلى فصول، والفصول إلى بحوث، ليتسنى للمكلف أخذ أحكامه بسهولة، وبذلك تكون أعمالنا عن علم ومعرفة، وهو

المطلوب من كل مكلف .

اسمه ونسبه:

هو الشيخ جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن فهد الأسدي الحلبي^(١)، وهو غير أحمد بن فهد المقرئ الأحسائي، وقد وقع التباس للبعض بينهما ووجهه اتحاد الاسم والمعاصرة، وكل منهما له شرح على إرشاد العلامة وقد اشتهر بـ أحمد ابن فهد، إلا أن مترجمنا اسم جده فهد والآخر اسم لأبيه.

ولادته ونشأته:

ولد سنة ٧٥٧ هجرية^(٢)، نشأ في الحلة التي سلمت من سطوة الجزار وبعد وصوله إلى بغداد، بادر علماء الحلة وعلى رأسهم والد العلامة عليه السلام فاجتمع بمن بقي من علمائها وأهلها وأنفذوا كتاباً يطلبون فيه الأمان. وفعلاً صدر فرمان بإعطاء الأمان لأهل الحلة وعلمائها، وعلى أثرها تحولت الحلة إلى مركز علمي، فاستقطبت الفقهاء والطلاب النازحين من بغداد، فبرز فيها فطاحل وجهابذة، كالمحقق الحلبي، والعلامة الحلبي، وولده فخر المحققين، والشهيد الأول، وابن طاووس وغيرهم من الأعلام.

وفي هذه الأجواء العلمية نشأ وترعرع شيخنا المترجم على يد جمع من أعلامها ليرتقي إلى المراتب العالية، فتلمذ على الشيخ نظام الدين علي بن عبد الحميد النيلي، والشيخ علي بن الشهيد الأول، والسيد بهاء علي بن عبد الكريم إلى أن بلغ المراتب العليا، فارتقى كرسي الدرس والبحث، هذا وهو منشغل بالكتابة والتحقيق، فخلف وراءه جمعاً غفيراً من المحصلين والفضلاء، ومجموعة علمية ثمينة هي مصدر من مصادر الفقهاء^(٣).

(١) روضات الجنات ١: ٧٥، الكنى والألقاب ١: ٢٦٩.

(٢) الفوائد الرجالية ٢: ١١١، الكنى والألقاب ١: ٣٦٩، إلا أن الأمين ترد في الأعيان ٣: ١٤٧، بين (٧٥٦) و (٧٥٧).

(٣) نامه دانشوران ١: ٣٧٢.

أقوال العلماء فيه

قال الحر العاملي: فاضل عالم ثقة صالح زاهد عابد ورع جليل القدر^(١).
وقال الشيخ يوسف البحراني: الفاضل العالم العلامة الفهامة، الثقة الجليل،
الزاهد العابد الورع العظيم القدر^(٢).
وقال أيضاً: فاضل فقيه، مجتهد زاهد، عابد ورع، تقي نقي^(٣).
وقال الميرزا الأفندي والرجالي الشهير المعروف بـ (أبو علي) عين ما قاله
الشيخ الحر العاملي في الأمل والشيخ يوسف البحراني في الكشكول^(٤).
وقال الشيخ أسد الله التستري: الشيخ الأفخر، الأجلّ الأوحّد، الأكمل
الأسعد، ضياء المسلمين، برهان المؤمنين، قدوة الموحدين، فارس مضمار المناظرة
مع المخالفين والمعاندين، أسوة العابدين، نادرة العارفين والزاهدين^(٥).

وقال السيد الخوانساري: الشيخ العالم العامل العارف الملي، وكاشف أسرار
الفضائل بالفهم الجبلي، أحمد بن محمد بن فهد الأسدي الحلي، له من الاشتهار

(١) أمل الآمل ٢: ٢٦.

(٢) الكشكول للبحراني ١: ٣٠٤.

(٣) لؤلؤة البحرين: ١٥٥.

(٤) رياض العلماء ١: ٦٤، منتهى المقال: باب الألف.

(٥) مقاييس الأنوار: ١٨.

بالفضل والإتقان، والذوق والعرفان، والزهد والأخلاق، والخوف والإشفاق وغير أولئك من جميل السياق ما يكفيننا مؤنة التعريف، ويغنيننا مرارة التوصيف، وقد جمع بين المعقول والمنقول، والفروع والأصول، والقشر واللب، واللفظ والمعنى، والظاهر والباطن، والعلم والعمل بأحسن ما كان يجمع ويكمل^(١).

وقال المحدث النوري: صاحب المقامات في العلم والعمل، والخصال النفسانية التي لا توجد إلا في الأقل^(٢).

وقال الشيخ عبد الله المامقاني: له من الشهرة بالفضل والعرفان، والزهد والتقوى، والأخلاق والخوف والإشفاق، ما يغنيننا عن البيان، وقد جمع بين المعقول والمنقول، والفروع والأصول، واللفظ والمعنى، الحديث والفقہ، الظاهر والباطن، العلم والعمل بأحسن ما كان يجمع^(٣).

هذا بعض ما قيل فيه من مدح وثناء وبيان لمقاماته ومراتبه العلمية والعملية.

أساتذته ومشايخه:

١ - الشيخ علي بن عبد الحميد النيلي، وهو تلميذ فخر المحققين، فاضل صالح فقيه.

٢ - الشيخ علي بن خازن الجابري الحائري، وهو تلميذ الشهيد الأول، فاضل عابد صالح.

٣ - السيد بهاء الدين علي بن عبد الكريم النسابة الحسيني، الفقيه الشاعر صاحب المقامات، وهو تلميذ فخر المحققين.

٤ - الشيخ علي بن محمد بن مكّي، ابن الشهيد الأول يروي عن أبيه، فاضل محقق صالح.

(١) روضات الجنات ١: ٧١.

(٢) خاتمة مستدرک الوسائل ٢: ٢٩٢.

(٣) تنقيح المقال ١: ٩٢، رقم ٥١٠.

فإذا كانت هذه الثلة الكريمة والكوكبة المباركة قد تلمذ عليها شيخنا المترجم
فحريّ به أن يزهو نجمه ويشتهر اسمه في المحافل العلمية .
وهناك جمع من أعلام عصره ممن روى عنهم وأجازوه ، منهم :

- ٥ - الشيخ علي بن يوسف النيلي .
- ٦ - الفاضل المقداد بن عبدالله السيوري .
- ٧ - الشيخ أحمد بن عبدالله بن المتوج البحراني .

تلامذته والراون عنه:

- ١ - الشيخ زين الدين علي بن هلال الجزائري ، عالم فاضل ، متكلم .
- ٢ - الشيخ زين الدين علي بن محمد الطائي . الفاضل العالم الفقيه .
- ٣ - الشيخ عبد السميع بن فياض الأسدي الحلبي ، عالم فاضل فقيه متكلم .
- ٤ - الشيخ علي بن فضل بن هيكل .
- ٥ - الشيخ مفلح بن حسن الصيمري ، فاضل علامة فقيه .
- ٦ - الشيخ رضي الدين القطيفي .
- ٧ - السيد محمد نور بخش .
- ٨ - الشيخ حسن بن علي المعروف بـ (ابن العشرة) ، فاضل عالم زاهد فقيه .
- ٩ - السيد محمد بن فلاح الموسوي الحويزي ، أول سلاطين بني المشعشع في خوزستان .

مصنفاته:

- ١ - اختصار العدة .
- ٢ - استخراج الحوادث .
- ٣ - أسرار الصلاة .
- ٤ - التحصين في صفات العارفين .

- ٥- الحاوي لتحرير الفتاوي .
- ٦- الدر الفريد في التوحيد .
- ٧- الدر النضيد، في فقه الصلاة .
- ٨- رسالة في تعقيبات الصلاة والمسائل الشاميات .
- ٩- رسالة غاية الإيجاز لخائف الإعواز .
- ١٠- رسالة كفاية المحتاج في مناسك الحاج . وهي الرسالة التي بين أيدينا .
- ١١- رسالة في معاني أفعال الصلاة وترجمة أذكارها، وتسمى بالوجيزة .
- ١٢- رسالة في منافيات نية الحجّ .
- ١٣- رسالة نبذة الباغي فيما لا بدّ منه من آداب الداعي .
- ١٤- رسالة في نيات الحجّ .
- ١٥- رسالة في واجبات الصلاة .
- ١٦- شرح الإرشاد .
- ١٧- شرح الألفية للشهيد .
- ١٨- عدّة الداعي ونجاح الساعي .
- ١٩- الفصول في الدعوات .
- ٢٠- اللمعة الجليّة في معرفة النيّة .
- ٢١- المحرر في فقه الاثني عشر .
- ٢٢- المسائل البحرانيات .
- ٢٣- المسائل الشاميات .
- ٢٤- مصباح المبتدي وهداية المقتدي .
- ٢٥- المصباح في واجبات الصلاة ومندوباتها .
- ٢٦- المقتصر في شرح المختصر .
- ٢٧- المهذب البارع في شرح المختصر النافع .

- ٢٨- الموجز الحاوي .
- ٢٩- الهداية في فقه الصلاة .
- ٣٠- الأدعية والختوم .
- ٣١- تاريخ الأئمة .
- ٣٢- ترجمة الصلاة في بيان معاني أفعالها وأقوالها .
- ٣٣- التواريخ الشرعية عن الأئمة المهديّة .
- ٣٤- الخلل في الصلاة .
- ٣٥- رسالة إلى أهل الجزائر .
- ٣٦- رسالة في تحمل العبادة عن الغير من الصلاة والصيام والحجّ وغيرها .
- ٣٧- السؤال والجواب .
- ٣٨- رسالة في السهو في الصلاة .
- ٣٩- اللوامع .
- ٤٠- رسالة في كثير الشك .
- ٤١- المقدمات .
- ٤٢- رسالة في العبادات الخمس ، تشتمل على أصول وفروع .
- ٤٣- رسالة في فضل الجماعة .
- ٤٤- مسائل ابن فهد .
- ٤٥- التحرير .

وفاته ومدفنه:

اتفق المؤرخون على أنّ وفاته سنة ٨٤١ هـ، منها ما قاله السيد بحر العلوم في رجاله : وجدت في ظهر كتاب عدّة الداعي ونجاح الساعي لابن فهد هكذا: تاريخ تولد ابن فهد ٧٥٧... تاريخ وفاة ابن فهد ٨٤١.

وفي هامشه: قال: وقبر ابن فهد هذا بكر بلاء معروف مشهور يزار، وكان

وسط بستان بجانب المكان المعروف بالخيم ، وعليه قبة مبنية بالقاشاني ، وقد جدد بناؤه في عصرنا ، وفتح بجانبه شارع باسمه ، وبنيت حوله دور ومساكن ، ويقال : إنَّ السيد صاحب الرياض الطباطبائي الحائري رحمته الله كان في عصره كثيراً ما يتردد إلى قبره ويتبرك به ^(١).

هذا وقد رثاه جماعة منهم :

الشيخ علي بن جمال الدين بن طي العاملي الفقعاني المتوفى سنة ٨٥٥ هـ.

نحن والرسالة:

هي رسالة في واجبات الحجّ تشتمل على باين في العمرة والحجّ، تمتاز باختصارها وسلاستها والدقة في التعبيرات العلمية مع الوضوح ، ظهرت فيها آراء المصنّف ، التي تبين عن عمقه العلمي وتبنيه لبعض الآراء التي قد تخالف المشهور أحياناً .

منها ما ذكره في واجبات

الإحرام «يأتزر بأحدهما ويرتدي بالآخر أو يتوشح به»، وقد ذكرنا في محلّه أنّ النصوص وردت بالارتداء لا التوشح .

ومنها ما ذكره في الطواف : «الاختتان في الرجل المتمكن خاصة»، مع أنّه لم يرد في النصوص قيد التمكّن ، وإنّما ذكر هذا القيد قياساً على الصلاة ، وقد ذكرنا في محله وجه الفرق بين الصلاة والحجّ .

ومهما يكن فالأمر سهل ، وتراث علمائنا الأعلام مليء بالأسرار والفوائد الغنيّة ، ولا نزال إلى عصرنا هذا عيال عليهم ، قدس الله أسرارهم .

(١) الفوائد الرجالية ٢ : ١١١ .

نسبتها وتسميتها:

كل من تعرض لترجمة ابن فهد الحلي ذكرها في مصنفاته، كالسيد الخوانساري^(١)، والشيخ يوسف البحراني^(٢)، والميرزا الأفندي^(٣)، والسيد الأمين^(٤)، والشيخ عباس القمي^(٥).

نعم ربما عبّر بعضهم عنها: بالمناسك الكبير في قبال وجود مناسك صغير، وهو ما قاله آغا بزرك الطهراني في الذريعة^(٦) في مقام التعريف بمناسك الحجّ الصغير، قال: وهو غير المناسك الكبير الموسوم بـ «كفاية المحتاج» ولم يعقد له عنواناً مستقلاً.

نعم عنوانه مستقلاً السيد إجاز حسين النيسابوري في كشف الحجب والأستار: رقم ٢٦٦٢ قائلاً: كفاية المحتاج في مناسك الحاج للشيخ جمال الدين أحمد بن فهد الحلي، المتوفى سنة إحدى وأربعين وثمانمائة. واكتفى بهذا القدر ولم يتعرض إلى بداية ونهاية النسخة.

النسخة المعتمدة:

النسخة الموجودة والتي تم العثور عليها هي واحدة فريدة وهذا مقدار تتبعنا فلم نجد سواها، وهي محفوظة في خزانة مكتبة السيد المرعشي النجفي رحمته الله في قم المقدسة ضمن مجموعة رقم ٥٦٠١ الفقرة الأخيرة منها، حسنة الخط قليلة الأخطاء، والظاهر أنّ المجموعة بخط واحد، وقد ظهر على فقراتها إجازات لبعض الأكابر مؤرخة بـ ٨٥١ و ٨٥٣ تحتوي على ١٣ ورقة بقياس ١٨/٥ × ١٤. مذكور

(١) روضات الجنات ١: ٧٢.

(٢) الكشكول ١: ٣٠٥، لؤلؤة البحرين: ١٥٧.

(٣) رياض العلماء ١: ٦٦.

(٤) أعيان الشيعة ٣: ١٤٨.

(٥) الفوائد الرضوية: ٣٣.

(٦) الطهراني، الذريعة ٢٢: ٢٥٥.

في فهرسها ١٥ / ٣. لم يظهر في نهايتها ما يدل على اسم ناسخها وتاريخ نسخها. وقد طبعت ضمن الرسائل العشر في مكتبة السيد المرعشي عليه السلام، ١٤٠٩ هـ. منهجية التحقيق: وبما أنّها نسخة فريدة فقد اعتمدها مراجعة وتصحيحاً، وكنت أرجع إلى باقي مصنفات ابن فهد في حلّ بعض الكلمات التي لم تكن واضحة. وقطعت النص إلى فقرات مراعيّاً القواعد المتعارفة لتحقيق النصوص القديمة. ثم تعميقاً للفائدة العلمية علقت على الموارد التي فيها خلاف وبيّنت وجهه، وذكرت بعض الأدلة ليعلم مدرّكه العلمي الذي أفتى به.

والحمد لله أولاً وآخراً أن وفقني لإنجاز هذا العمل، لأكون ممن ساهم في نشر تراث علمائنا الأعلام، وأشكر كلّ من ساعد في إخراجها وأخص بالذكر إدارة مكتبة السيد المرعشي عليه السلام، ومجلة ميقات الحجّ التي آثرت طبع هذه الرسالة مشكورة.

صورة عن الصفحة الأولى من النسخة المعتمدة